

اجتهادات الفن .. والدين

بعيداً عن عنوانه تأويل الفن والدين، الذى يبدو أنه اختير لأسباب تجارية، يناقش د. سعيد توفيق فى هذا الكتاب عدداً من القضايا التى يبقى الجدل حولها متجدداً حتى إذا اعتقد كثيرون أنه مكرر. إنها القضايا المتعلقة بأهمية الفن، والمشاركات التى تجمع صنوفاً عدة من الأشكال الإبداعية المختلفة، مثل الرسم والموسيقى والنحت والسينما والمسرح، وغيرها

يضم الكتاب دراسات تمكن مؤلفها من وضعها فى سياق واحد، واستمد عنوانه من إحداها رغم أن بعضها الآخر يثير قضايا مهمة، مثل قضية دور الفن. وهذه إحدى أهم القضايا التى يوجد خلاف قديم عليها، ولكنها تبدو جديدة فى كل مرة تُطرح فيها.

وتنطوى هذه القضية على جوانب عدة نقف اليوم أمام اثنتين منها. ونتفق مع د. توفيق فى الأولى منهما، وهى أن الفن لا يعتبر رسالة أخلاقية أو تربوية بخلاف ما يتصوره كثيرون، ونزيد أن العمل الفنى يكف عن أن يكون فناً إذا أردنا منه الوعظ والإرشاد. والمؤلف مصيب فى تأكيد أنه الفن يكون فناً عندما يستوفى العمل شروطه بغض النظر عن موضوعه، أو محتواه. فالقصيدة تكون فناً عندما تُكتب بلغة الشعر أياً كان موضوعها، وبغض النظر عن مضمونها.

غير أن الخلاف مع د. توفيق ضرورى فى نفيه الطابع الفنى عن الأعمال التى تتوخى رسالة ما، بدون التمييز بين تلك التى تستوفى شروط العمل

الفنى، وغيرها. تقديره صحيح بشأن الأعمال التى تطغى فيها رسالة فكرية أو سياسية على حساب القيمة الفنية. ولكن من الأعمال ذات الرسالة ما يُعد فناً راقياً. وليست بعض مسرحيات برنولد بريخت إلا مثلاً على ذلك. وهناك كثير مثلها. ومغالاة الواقعية الاشتراكية فى توظيف الفن لأغراض إيديولوجية وسياسية لا تجيز إصدار حكم مطلق ضد كل الأعمال التى تقدم رسالة معينة.

أما تحليل العلاقة بين الفن والدين فى هذا الكتاب فهو ما يتعين على من ينصبون أنفسهم أوصياء على الناس والمجتمعات أن يطلعوا عليه ويحاولوا استيعابه لعلمهم يدركون أخطاءهم، ويعرفون حقيقة دورهم فى تكريس تخلف بلادهم، ويفهمون أن وضع الخيال الفنى فى قفص الاتهام ضرب من الجهل أو الجنون.